

﴿كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ ﴿٥﴾ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ﴿٦﴾ ثُمَّ لَتَرَوْنها
عَيْنَ الْيَقِينِ ﴿٧﴾ ثُمَّ لَتَسْأَلَنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ ﴿٨﴾﴾ [التكاثر: 5 - 8]

❁ مُنَاسَبَةُ الْآيَاتِ لِمَا قَبْلَهَا:

بعد أَنْ زَجَرَ الْبَيَانُ الْكَافِرِينَ عَنِ الْإِنْشِغَالِ بِالتَّكَاثُرِ عَنِ طَاعَةِ اللَّهِ، وَأَنَّهُمْ سَيَعْلَمُونَ خَطَأَ مَا هُمْ فِيهِ بَعْدَ فَوَاتِ الْأَوَانِ - وَهُوَ أَمْرٌ صَادِعٌ لَهُمْ - أَعَادَ الزَّجَرَ مَرَّةً ثَالِثَةً؛ لزيادةِ إِبْطَالِ مَا هُمْ عَلَيْهِ مِنَ اللَّهِو، وَلِلشَّدَةِ فِي رَدْعِهِمْ عَنِ التَّكَاثُرِ فَإِنَّهُ أَسَاسٌ كُلِّ بَلَاءٍ، لَعَلَّهُمْ يَقْلَعُونَ عَنِ انْكَبَابِهِمْ عَلَيْهِ⁽¹⁾.

استمرارُ الزَّجَرِ
ليزدادَ ارتدائهم
عن التَّكَاثُرِ فَإِنَّهُ
أَسَاسُ كُلِّ بَلَاءٍ

❁ شَرْحُ الْمَفْرَدَاتِ:

(1) ﴿عِلْمَ الْيَقِينِ﴾: أَصْلُ (يَقِنُ) هُوَ زَوَالُ الشَّكِّ، فَالْيَقِينُ: هُوَ الْعِلْمُ وَتَحْقِيقُ الْأَمْرِ، وَهُوَ نَقِيضُ الشَّكِّ، وَفِي الْأَصْطِلَاحِ: اعْتِقَادُ الشَّيْءِ بِأَنَّهُ كَذَا مَعَ اعْتِقَادِ أَنَّهُ لَا يُمَكِّنُ إِلَّا كَذَا، مُطَابِقًا لِلْوَاقِعِ غَيْرَ مُمَكِّنِ الزَّوَالِ⁽²⁾، فَالْيَقِينُ هُوَ الْأَمْرُ الثَّابِتُ الَّذِي لَا شَكَّ يُخَالِجُهُ، وَهُوَ رَسوخُ الْعِلْمِ صُلْبًا قَوِيًّا فِي الْقَلْبِ أَوْ أَعْمَاقِ النَّفْسِ⁽³⁾، وَيَقِنُ الشَّيْءُ: ثَبَتَ وَتَحَقَّقَ وَوَضَحَ، وَأَيَقَنَ مِنَ الْأَمْرِ: عِلِمَهُ وَتَحَقَّقَ مِنْهُ، وَ(عِلْمُ الْيَقِينِ) هُوَ أَوْلَى مَرَاتِبِ الْمَعْرِفَةِ، يَلِيهَا مَرْتَبَةُ (عَيْنُ الْيَقِينِ) ثُمَّ (حَقُّ الْيَقِينِ)⁽⁴⁾، وَمَعْنَى ﴿عِلْمَ الْيَقِينِ﴾ فِي الْآيَةِ مُوَافِقٌ لِلْمَعْنَى اللَّغَوِيَّةِ، أَي: لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَمَامَكُمْ عِلْمًا يَصِلُ إِلَى الْقُلُوبِ، لِمَا أَلْهَاكُمْ التَّكَاثُرُ⁽⁵⁾.

(2) ﴿الْجَحِيمِ﴾: أَصْلُ (جَحِمَ) يَدُلُّ عَلَى الْحَرَارَةِ وَشِدَّتِهَا،

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 521/30.

(2) ابن فارس، مقاييس اللغة، وابن منظور، لسان العرب، والزبيدي، تاج العروس: (يقن).

(3) السمين الحلبي، عمدة الحفاظ، ومحمد جبل، المعجم الاشتقاقي للؤصل: (يقن).

(4) أحمد مختار، معجم اللغة العربية المعاصرة: (حقق).

(5) السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ص: 933.

فالجحيم المكان الشديد الحر، والجحيم: اسم من أسماء النار، وكل نار عظيمة في مهواة فهي جحيم⁽¹⁾، والمراد بالجحيم في الآية: النار المؤججة، وتطلق علمًا على جهنم دار العذاب في الآخرة.

(3) ﴿عَيْنَ الْيَقِينِ﴾: هو ما أعطته المشاهدة والكشف⁽²⁾، وهي أعلى درجات العلم⁽³⁾، فهو اليقين الذي لا يشوبه تردد⁽⁴⁾، و﴿عَيْنَ الْيَقِينِ﴾: الرؤية التي هي نفس اليقين وخالصته⁽⁵⁾، والمعنى: لتروا الجحيم رؤيةً بصريةً⁽⁶⁾.

(4) ﴿التَّعِيمِ﴾: أصل (نعم) يدل على ترفه وطيب عيش وصلاح؛ منه النعمة: ما يُنعم الله تعالى على عبده به من مال وعيش⁽⁷⁾، وتنعّم: تناول ما فيه النعمة وطيب العيش⁽⁸⁾، والنعيم: ما به التذاذ النفس بالذات المحسوسة، وهو أخص من النعمة⁽⁹⁾، والمراد ب﴿التَّعِيمِ﴾ في الآية: اسم لكل ما يلذ لإنسان مما ليس مُلازمًا له، كشرب الماء وأكل الطعام والتلذذ بالمسموعات وبما فيه فخر وبرؤية المحاسن⁽¹⁰⁾.

❁ المعنى الإجمالي:

يقول تعالى ذكره ما حاصله: ما هكذا ينبغي أن تفعلوا أيها الناس، أن يلهيكم التكاثر، لو تعلمون علمًا يقينًا أن الله باعكم يوم القيامة من بعد مماتكم من قبوركم، ما ألهاكم التكاثر عن طاعة الله، ولسارعتنم إلى عبادته، والانتهاه إلى أمره ونهيه، ورفض الدنيا

التحذير من يوم
الحساب ورؤية
الجحيم

(1) الجوهري، الصحاح، وابن فارس، مقاييس اللغة: (جحم).

(2) المناوي، التوقيف على مهمات التعاريف، ص: 249.

(3) أحمد مختار، معجم اللغة العربية المعاصرة: (يقن).

(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 523 / 30.

(5) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 676 / 3.

(6) السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ص: 933.

(7) ابن فارس، مقاييس اللغة: (نعم).

(8) ابن دريد، جمهرة اللغة: (نعم).

(9) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 150 / 10.

(10) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 524 / 30.

إِشْفَاقًا عَلَى أَنْفُسِكُمْ مِنْ عُقُوبَتِهِ، ثُمَّ أُقْسِمَ إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ جَهَنَّمَ فِي الْآخِرَةِ عِنْدَ الْمُرُورِ عَلَيْهَا، أَوْ رُؤْيَا دَائِمَةً مُتَّصِلَةً، وَأُقْسِمَ إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَهَا عَيَانًا رُؤْيَا حَقِيقِيَّةً مُؤَكَّدَةً، ثُمَّ أُقْسِمَ: لَيَسْأَلَنَّكُمْ اللَّهُ ﷻ عَنِ النَّعِيمِ الَّذِي كُنْتُمْ فِيهِ فِي الدُّنْيَا مَاذَا عَمِلْتُمْ فِيهِ، مِنْ أَيْنَ وَصَلْتُمْ إِلَيْهِ، وَفِيمَ أَصَبْتُمُوهُ⁽¹⁾.

❁ الإيضاح اللغوي والبلاغي:

سرُّ تكرار لفظ الزجر ﴿كَلَّا﴾:

إِعَادَةُ الزَّجْرِ بِ﴿كَلَّا﴾ مَرَّةً ثَالِثَةً فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ﴾ يَزِيدُ توكِيدَ سَوْءِ مَغَبَّةٍ مَا هُمْ عَلَيْهِ عُمَقًا وَرَهْبَةً، وَتَلْوِيحًا بِمَا وَرَاءَهُ مِنْ أَمْرٍ ثَقِيلٍ، لَا يَتَبَيَّنُونَ حَقِيقَتَهُ الْهَائِلَةَ فِي غَمْرَةِ الْاسْتِكْثَارِ، إِذْأَرًا وَتَخْوِيفًا؛ لِيَبْطُلَ مَا هُمْ عَلَيْهِ مِنَ اللَّهِو عَنْ التَّدْبِيرِ فِي أَقْوَالِ الْقُرْآنِ، لَعَلَّهُمْ يُضْلَعُونَ عَنْ انْكِبَابِهِمْ عَلَى التَّكَاثُرِ⁽²⁾، وَإِنَّمَا حُسْنُتِ الْإِعَادَةِ لِأَنَّهُ عَقَّبَهُ فِي كُلِّ مَوْضِعٍ بِغَيْرِ مَا عَقَّبَ بِهِ الْمَوْضِعَ الْآخِرَ، كَأَنَّهُ تَعَالَى قَالَ: (لَا تَفْعَلُوا هَذَا فَإِنَّكُمْ تَسْتَحَقُّونَ بِهِ مِنَ الْعَذَابِ كَذَا، لَا تَفْعَلُوا هَذَا فَإِنَّكُمْ تَسْتَوْجِبُونَ بِهِ ضَرَرًا آخَرَ)⁽³⁾، أَوْ لِكُونِ الْأَمْرِ صَادِعًا فَلَا يَكْفِي التَّأَكُّيدُ بِمَرَّةٍ وَاحِدَةٍ، وَلِيَكُونَ هَذَا التَّكْرِيرُ مُرَدَّدًا لِلْأَمْرِ بَيْنَ تَأَكُّيدِ الرَّدْعِ ثَالِثًا بِالْأَدَاةِ الصَّالِحَةِ لَهُ؛ وَبَيْنَ أَنْ تَكُونَ بِمَعْنَى: (حَقًّا)، كَمَا يَقُولُهُ أَئِمَّةُ الْقِرَاءَةِ، لِيَشْتَدَّ ارْتِدَاعُهُمْ عَنِ التَّكَاثُرِ فَإِنَّهُ أَسَاسُ كُلِّ بَلَاءٍ⁽⁴⁾.

مبالغة في
إبطال ما عليه
المشركون من
اللهو والانكباب
على التكاثر

بلادة حذف جواب ﴿لَوْ﴾:

جَوَابُ ﴿لَوْ﴾ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ﴾ مَحْذُوفٌ، وَالتَّقْدِيرُ: (لَشَغَلَكُمْ ذَلِكَ عَنِ التَّكَاثُرِ وَالتَّفَاخُرِ)، أَوْ:

الحذف تفخيم
لليقين وتهويل
وإزعاج للذهن

(1) ابن جرير، جامع البيان: 581/24، والقرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 174/20.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 521/30.

(3) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 272/32.

(4) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 272/32، والبقاعي، نظم الدرر: 229/22.

(لَفَعَلْتُمْ مَا يَنْفَعُكُمْ مِنَ الْخَيْرِ، وَتَرَكْتُمْ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ مِمَّا أَنْتُمْ فِيهِ) ⁽¹⁾، وحذف هذا الجواب بعد حذف المفعول للتفخيم، فهو إشارة إلى أنه لا يقينَ غيرُه، والمعنى أن أعمالكم أعمالٌ من لا يتيقنه ⁽²⁾، وللتهويل والإزعاج للآلهين؛ لأنَّ حذف الجواب جعل النفوس تذهب في تقديره كلَّ مذهبٍ مُمكن، وهذا باعتبار كون التقدير: (لَتَبَيَّنَ لَكُمْ حَالُ مُفْطَعٍ عَظِيمٍ، أَوْ لَفَعَلْتُمْ مَا لَا يَوْصَفُ وَلَا يُكْتَنَى)؛ لكون الجملة بياناً لما في ﴿كَلَّا﴾ من الزجر ⁽³⁾.

سِرُّ تكرار الفعل ﴿تَعْلَمُونَ﴾ ودلالته على الحال:

في تكرير الفعل ﴿تَعْلَمُونَ﴾ في قوله تعالى: ﴿كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ﴾ تأكيدٌ لجهلهم وغفلتهم عن الحقيقة المطوية الرهيبة، وهي دخولهم الجحيم، ومجيء الفعل بصيغة المضارعة مرادٌ به زمن الحال، لبيان ما هم عليه الآن من سوء هذه الحال والجهل المركب من أوهام وتخيلات، والمعنى: (لو علمتم الآن ما بين أيديكم علم اليقين لعلمتم أمراً عظيماً، ولكنكم ضلَّالٌ جهلةٌ) ⁽⁴⁾.

دلالة تعريف (علم) بالإضافة:

إضافة العلم إلى اليقين في قوله تعالى: ﴿لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ﴾ إضافةً بيانيةً؛ أي: (لو علمتم علماً مطابقاً للواقع لبان لكم شنيع ما أنتم فيه، فلم يلهكم التكاثر)، ولكن علمهم بأحوالهم جهلٌ مركبٌ من أوهام وتخيلات، وفي هذا نداءٌ عليهم بالتقصير في اكتساب العلم الصحيح، وهذا خطابٌ للمشركين الذين لا يؤمنون بالجزاء، وليس خطاباً للمسلمين؛ لأنَّ المسلمين يعلمون ذلك علم اليقين ⁽⁵⁾، وهذه الإضافة من إضافة الموصوف إلى صفته، أي: العلم اليقين،

تأكيد جهل
الكافرين
وغفلتهم عن
علمهم الآن
أحوج ما يكونون
له

وصف العلم
وتميزه
بالمطابقة للواقع

(1) الشوكاني، فتح القدير: 5/ 597.

(2) البقاعي، نظم الدرر: 22/ 230.

(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 30/ 521، وأبو السعود، إرشاد العقل السليم: 30/ 521.

(4) النسفي، مدارك التنزيل: 3/ 675، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 30/ 522.

(5) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 30/ 522.

وفائدة الوصف ظاهرة بناءً على أن العلم يُطلق على غير اليقين،
فرفع مجازاً بالإضافة⁽¹⁾، أو من إضافة العلم إلى المفعول، واليَقينُ
بمعنى المتيقن، صفة مُقدَّر، والتقدير: (لو تعلمون ما بين أيديكم
علم الأمر المتيقن، أي: كعلمكم ما تستيقنونَه من الأمور)⁽²⁾.

علة فصل جملة ﴿لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ﴾:

جاءت جملة ﴿لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ﴾ استئنافاً بيانياً؛ لأنَّ ما سبقه
من الزجر والردع المُكرَّر، ومن الوعيد المُؤكَّد على إجماله، يُثيرُ
في نفس السامع سؤالاً عما يترقَّب من هذا الزجر والوعيد، فكان
قوله: ﴿لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ﴾ جواباً عما يجيشُ في نفس السامع⁽³⁾، وهو
جوابٌ قسمٍ مَحذوفٍ أكَّد به الوعيد، وأوضح به ما أنذرهم منه بعد
إبهامه تَفخيماً⁽⁴⁾.

معنى اللام في ﴿لَتَرَوُنَّ﴾:

ليست اللام في قوله تعالى: ﴿لَتَرَوُنَّ﴾ لامَ جوابٍ ﴿لَوْ﴾ في قوله:
﴿كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ﴾؛ لأنَّ جوابَ ﴿لَوْ﴾ مُمتنع الوقوع، فلا
تَقترنُ به نونُ التوكيد؛ ولأنَّ نظمَ الكلام صيغةُ قَسَمٍ؛ بدليلِ اقترانه
بنونِ التوكيد⁽⁵⁾، والقَسَمُ لتوكيدِ الوعيد، وأنَّ ما أُوعِدوا به ما لا
مدخلُ فيه للرَّيب⁽⁶⁾، ولأنَّه لو كان ﴿لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ﴾ جواباً للشرط،
كانتِ الرؤيةُ أمراً مَشكوكاً فيه، وهذا باطل⁽⁷⁾، فالرؤيةُ أمرٌ واقعٌ
قطعاً، معطوفٌ عليها أمرٌ واقعٌ قطعاً، وهو قوله تعالى: ﴿لَتُسْأَلُنَّ
يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾⁽⁸⁾.

يترقَّبُ اللّٰهين
عذابٌ شديدٌ

قَسَمٌ إلهيٌّ
مؤكَّدٌ لحقيقةِ
دخولهم
الجحيم

(1) البقاعي، نظم الدرر: 229/22.

(2) أبو حيان، البحر المحيط: 537/10، والآلوسي، روح المعاني: 453/15.

(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 522/30.

(4) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 196/9.

(5) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 522/30.

(6) الزمخشري، الكشاف: 792/4.

(7) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 272/32.

(8) النيسابوري، غرائب القرآن: 556/6.

بلاغة التعبير بالرؤية في قوله ﴿لَتَرَوُنَّ﴾:

الوقوع في
الشيء وحضوره
يستلزم رؤيته

على القول بأن الخطاب في قوله تعالى: ﴿لَتَرَوُنَّ﴾ للمُشْرِكِينَ؛ فالإخبار عن رؤيتهم الجحيم كناية عن الوقوع فيها؛ فإن الوقوع في الشيء يستلزم رؤيته، فيكنى بالرؤية عن الحضور، ولذا أكد ذلك تأكيداً لفظياً بقوله: ﴿ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ﴾؛ قصداً لتحقيق الوعيد بمعناه الكِنَائِي⁽¹⁾.

في الإخبار
بالمشاهدة
تفخيم في
الوعيد ومبالغة
في التهديد

وعلى القول بأن الخطاب عام في الناس جميعاً فهي رؤية حقيقية، لا مجرد علم ذهني، أي: (لَتَرَوُنَّهَا رؤية عين ومشاهدة لا خفاء فيها)، وفي ذلك تهديد عظيم وتخويف بالغ وتفخيم في الوعيد بإيضاح المتوعد به بعد إبهامه مع قسم دل عليه بلامه، مع التصوير للمُخاطَبين لحظة الوقوف على النار كأنها حاضرة أمامهم الآن، فالْمُؤْمِنُ يراها وينجو منها سواء خالطها أم لا، والكافر يخلد فيها⁽²⁾.

سر التعبير بالفعل (تَرَوُنَّ) صيغة:

رهبة التوكيد
وإيقاع المشهد
الحاضر في
النفس

جاء بصيغة المضارع المقترن بلام القسم ونون التوكيد الثقيلة ﴿لَتَرَوُنَّ﴾ ليدل على تحقق الوقوع واستمراره؛ فالمضارع يُشعرُ بالتجدد والدوام، واللام والنون تؤكدان حتمية الرؤية ويقين وقوعها لا محالة؛ فجَمَعَ الفعلُ بين رهبة التوكيد وإيقاع المشهد الحاضر في النفس، ليغدو الوعيد أبلغ وأوقع.

القراءات الواردة في قوله ﴿لَتَرَوُنَّ﴾:

بلاغة الرؤية
والإراءة

قرأ ابن عامر والكسائي بضم التاء: ﴿لَتَرَوُنَّ﴾، وقرأ الباقون بفتحها، واتَّفَقُوا عَلَى فَتْحِ التَّاءِ فِي الثَّانِيَةِ، وَهُوَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ﴾؛ لِأَنَّ الْمَعْنَى فِيهِ: أَنَّهُمْ يَرَوْنَهَا، أَيْ تُرِيهِمْ أَوَّلًا الْمَلَائِكَةُ، أَوْ مَنْ شَاءَ، ثُمَّ يَرَوْنَهَا بِأَنْفُسِهِمْ، وَلِهَذَا قَالَ الْكِسَائِيُّ: (إِنَّكَ

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 523 / 30.

(2) البقاعي، نظم الدرر: 230 / 22.

لَتَرَىٰ أَوَّلًا، ثُمَّ تَرَىٰ (1). فحجة من ضمَّ أنه جعله فعلاً رباعياً لم يسمَّ فاعله، فتعدَّى إلى مفعولين: أحدهما قام مقام الفاعل، مضمر في ﴿لَتَرُونَ﴾، و(هم) اسم للمخاطبين. والثاني هو ﴿الْجَحِيمَ﴾، وحجة من قرأ بالفتح أنه جعله فعلاً ثلاثياً تعدَّى إلى مفعول واحد، وهو ﴿الْجَحِيمَ﴾، والفاعل مضمر، وهم المخاطبون، وهو من رأى (2).

دلالة تعريف ﴿الْجَحِيمَ﴾:

التَّعْرِيفُ في لفظِ ﴿الْجَحِيمَ﴾ للعهدِ الذَّهْنِيّ، أي: الجحيمُ المعهودُ المعلومُ عند السَّامِعِينَ من وعيدِ الله في النَّارِ، فهو ليسَ مجهولاً، بل هو ما تَكَرَّرَ ذِكْرُهُ ووَعِيدُهُمْ به، فصار كأنَّه حاضرٌ في أذهانِهِمْ؛ فهي النَّارُ التي تَلَقَّى الْمُعَذِّبِينَ بها بكَرَاهَةٍ وَتَغِيظٍ وَعُتُوٍّ وَشَدِيدِ تَوْقُفٍ (3)، فضلاً عن أنَّ في التَّعْرِيفِ تَفْخِيماً وَتَهْوِيلاً لها، كأنَّها النَّارُ المَعْرُوفَةُ في شِدَّتِهَا وَهَوْلِهَا التي لا تحتاجُ إلى مزيدٍ وَصْفٍ.

وجهُ العطفِ بـ ﴿ثُمَّ﴾:

العطفُ بـ ﴿ثُمَّ﴾ في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَتَرُونَهَا عَيْنَ الْيَقِينِ﴾ للتراخي الرُّتَبِيّ، فليس هنالك رُؤْيَتَانِ تَقَعُ إحداهُما بعدَ الأُخْرَى بمُهْلَةٍ، وإنَّما هو تراخي رُتَبَةِ هَذَا الزَّجْرِ والوعيدِ عن رُتَبَةِ الزَّجْرِ والوعيدِ الذي قبله، فهذا زَجْرٌ ووَعِيدٌ مُمَاتِلٌ لِلأَوَّلِ، لكنَّ عَطْفَهُ بحرفِ ﴿ثُمَّ﴾ اقتَضَى كونه أقوى مِنَ الأَوَّلِ؛ لأنَّه أَفَادَ تحقيقَ الأَوَّلِ وتهويلَهُ (4)، ونلاحظُ أنَّ ﴿ثُمَّ﴾ تُحَقِّقُ في الآيَاتِ تَصْعِيداً تَدْرِيجِيّاً من شَأْنِ المعنى المَكْرَرِ كَمَا وَكِيفاً، فقد صَعَّدَتْ من درجةِ الرُّؤْيَةِ والإدراكِ، فالرُّؤْيَةُ الأُولَى تتعلَّقُ بإظهارِ جَهَنَّمَ وعرضِها، والثَّانِيَةُ تتعلَّقُ بالتَّبَسُّسِ بها وذوقِها.

النَّارُ مَهْلَةٌ
مَعْرُوفَةٌ فِي
شِدَّتِهَا وَهَوْلِهَا
فَلَا تَحْتَاجُ إِلَى
مَزِيدٍ وَصْفٍ

التَّصْعِيدُ
الْبَلَاغِيّ فِي
الْعَطْفِ؛ مِنْ
عَرْضِ الْجَحِيمِ
إِلَى مُعَايَشَتِهَا

(1) ابن الجزري، النشر: 2/ 403.

(2) مكي، الكشف: 2/ 387.

(3) البقاعي، نظم الدرر: 22/ 230.

(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 30/ 523.

سِرُّ تَكَرُّرِ الْفِعْلِ (لَتَرَوُنَّ):

في التَّكَرُّرِ تَغْلِيظُ
في التَّهْدِيدِ
وَزِيَادَةُ
التَّهْوِيلِ وَتَأْكِيدُ
على حَتْمِيَّةِ
المَصِيرِ

في تَكَرُّرِ الْفِعْلِ (لَتَرَوُنَّ) في قوله تعالى: ﴿لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ﴾ تَوْكِيدٌ وَتَصْعِيدٌ فِي الْوَعِيدِ، فَالرُّؤْيَةُ الْأُولَى تَهْدِيدٌ بِعَرْضِ الْجَحِيمِ وَإِحْضَارِهَا أَمَامَهُمْ، وَالرُّؤْيَةُ الثَّانِيَّةُ تَهْدِيدٌ بِالْمُعَانَاةِ مِنْهَا وَمَبَاشَرَتِهَا حَقِيقَةً، فَهِيَ انْتِقَالٌ مِنْ مَجَرَّدِ الْمُشَاهَدَةِ إِلَى الْمَعَايِنَةِ وَالتَّلَبُّسِ، وَهَذَا عَلَى اعْتِبَارِ الْخُطَابِ لِلْكَافِرِينَ، وَيَرْسُمُ التَّكَرُّرُ أَيْضًا تَصَاعُدًا بِلَاغِيًّا فِي الْمَوْقِفِ؛ فَالرُّؤْيَةُ الْأُولَى تَهْيِئَةٌ وَتَهْوِيلٌ، وَالثَّانِيَّةُ تَحْقِيقٌ وَتَفْصِيلٌ، وَفِي الْجَمْعِ بَيْنَهُمَا إِرْهَابٌ لِلسَّمَاعِ، وَتَأْكِيدٌ عَلَى حَتْمِيَّةِ الْمَصِيرِ، وَتَنْبِيهٌُ عَلَى أَنَّ مَا بَعْدَ الْمَوْتِ لَيْسَ خَبْرًا يُسْمَعُ، بَلْ مَشْهَدٌ يُرَى رُؤْيَةً يَقِينٍ لَا رَيْبَ فِيهَا.

دَلَالَةُ تَعْرِيفِ ﴿عَيْنَ﴾ بِالإِضَافَةِ:

الرُّؤْيَةُ الْمَقْصُودَةُ
هِيَ أَعْلَى دَرَجَاتِ
الإِدْرَاكِ وَأَقْوَاهَا

إِضَافَةُ ﴿عَيْنَ﴾ إِلَى ﴿الْيَقِينِ﴾ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ﴾ إِضَافَةٌ بَيَانِيَّةٌ، أُضِيفَتِ (الْعَيْنُ) إِلَى ﴿الْيَقِينِ﴾ لِنُفِيدِ أَنَّ الرُّؤْيَةَ الْمَقْصُودَةَ هِيَ أَعْلَى دَرَجَاتِ الإِدْرَاكِ وَأَقْوَاهَا، فَهِيَ عَيْنُ الْيَقِينِ نَفْسِهِ لَا مَجَرَّدَ ظَنٍّ أَوْ عِلْمٍ نَظَرِيٍّ، وَالْمَعْنَى: (لَتَرَوُنَّهَا رُؤْيَةً هِيَ نَفْسُ الْيَقِينِ عَيْنًا وَمُشَاهَدَةً)⁽¹⁾.

بِلَاغَةُ الْجَزَازِ فِي لَفْظِ ﴿عَيْنَ﴾:

مِنْ أَهْوَالِ
الْخِطَابِ
التَّهْدِيدِ بِرُؤْيَةِ
العَذَابِ،
وَتَعْظِيمِ وَقْعِهِ
فِي النُّفُوسِ

لَفْظُ ﴿عَيْنَ﴾ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿عَيْنَ الْيَقِينِ﴾ مَجَازٌ مَرْسَلٌ عَنْ حَقِيقَةِ الشَّيْءِ الْخَالِصَةِ غَيْرِ النَّاقِصَةِ وَلَا الْمُشَابِهَةِ⁽²⁾؛ فَالْمُشَاهَدَةُ تَامَّةٌ لَا تَقْبَلُ الشَّكَّ، كَمَا يُقَالُ: رَأَيْتُ الشَّيْءَ عَيْنًا، أَيْ: رَأَيْتُهُ رُؤْيَةً لَا يَحْتَمِلُ مَعَهَا الْوَهْمَ، وَفِي هَذَا التَّعْبِيرِ تَصْوِيرٌ حَسِّيٌّ بَدِيعٌ لِمَعْنَى الْيَقِينِ، إِذْ نَقَلَ الإِدْرَاكُ الدَّهْنِيَّ إِلَى مَشْهَدٍ بَصَرِيٍّ مُحَسَّوسٍ، لِيُقَرَّبَ الْمَعْنَى إِلَى الْأَذْهَانِ، وَيَزِيدَ مِنْ رَهْبَةِ الْمَوْقِفِ وَوَقْعِهِ فِي النُّفُوسِ، فَمِنْ أَهْوَالِ الْخِطَابِ التَّهْدِيدِ بِرُؤْيَةِ الْعَذَابِ.

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 523 / 30.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 523 / 30.

وجه العطف بـ ﴿ثُمَّ﴾:

عطف البيان الحكيم قوله تعالى ﴿لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾ على ما قبلها بحرف ﴿ثُمَّ﴾ الدال على التراخي الرتبى في عطفه الجملة من أجل أن الحساب على النعيم الذي هو نعمة من الله أشد عليهم؛ لأنهم ما كانوا يترقبونه؛ لأن تلبسهم بالإشراك وهم في نعيم أشد كضرائنا للذي أنعم عليهم⁽¹⁾، والمعنى: (ثم بعد أمور طويلة عظيمة مهولة جدًا لتسألن يوم إذ ترون الجحيم عن النعيم)⁽²⁾، وذلك على القول أن الخطاب للمُشركين.

يُفيد التراخي
تغليظ الوعيد
وشدة المؤاخذة

معنى اللام في ﴿لَتُسْأَلُنَّ﴾

اللام في قوله تعالى: ﴿لَتُسْأَلُنَّ﴾ لام القسم، وهي تدخل على الفعل المضارع لتدل على وجود قسم مقدّر قبله، والتقدير: (وعزتنا لتسألن يومئذ عن النعيم)⁽³⁾، وجاء هذا الأسلوب في سياق يتضمن التهديد الشديد والتخويف البالغ للكافرين والمكذّبين، إذ يقسم الله تعالى - وهو أصدق القائلين - على وقوع هذا السؤال الحتمي الذي لا مفر منه.

القسم يزيد
الوعيد شدة
والنفوس خوفاً
وربهة

وأما تكرار القسم في الآيات السابقة، في ﴿لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ﴾ و﴿ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ﴾ ثم في ﴿لَتُسْأَلُنَّ﴾، فهو تصعيد بلاغي تدريجي في التهديد والوعيد؛ إذ ينتقل السياق من الإخبار المؤكد إلى الإلزام بالقسم، فيشتد الوعيد، ويزداد الهول، ويطرأ في النفس أن هذا الأمر حق لا محالة واقع.

سر التعبير بالفعل ﴿لَتُسْأَلُنَّ﴾ دلالة وصيغة:

آثر البيان الحكيم التعبير بلفظ السؤال ﴿لَتُسْأَلُنَّ﴾ ولم يقل: (لتعاقبن)؛ لأن السؤال أبلغ في التوبيخ والتهديد؛ لأنه يسبق العقوبة،

من أهوال
الخطاب التهديد
بالسؤال عند
رؤية العذاب

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 524 / 30.

(2) البقاعي، نظم الدرر: 231 / 22.

(3) البقاعي، نظم الدرر: 231 / 22.

وفيه صورةُ المُحاسبةِ الدَّقِيقَةِ والتَّفتيشِ عن النِّعمِ وتقصيرِهم في شكرِها، ممَّا يزيدُ الموقفَ رهبةً، فهو تهديدٌ بلسانِ المُحاسبةِ لا بلسانِ العقوبةِ، وفيه إظهارُ عدلِ الله تعالى وأنَّه لا يُعاقبُ إلا بعدَ إقامةِ الحُجَّةِ وبيانِ النِّعمةِ والتَّقصيرِ فيها، كما أنَّ في السُّؤالِ تناسُبًا مع مقامِ التَّذكيرِ بالنِّعمِ، ونتيجةِ التَّشاغُلِ بها عن الله، ولأنَّ لفظَ السُّؤالِ يجعلُ الخطابَ مُحتملاً للكافرينَ والمؤمنينَ.

وقد جاء التعبيرُ بالفعل **﴿لَتُسْأَلُنَّ﴾** بصيغة المضارع المؤكِّد بالنَّونِ الثَّقِيلَةِ والمبنيِّ للمجهولِ للدَّلالةِ على تحقُّقِ الوقوعِ، أي أنَّ السُّؤالَ عن النِّعمِ أمرٌ لا محالةَ كائنٌ يومَ القيامةِ، وللدَّلالةِ على استحضارِ مشهدِ الوقوعِ، وكأنَّه يَقَعُ الآنَ، وعلى التَّركيزِ والتَّهويلِ لشأنِ فعلِ السُّؤالِ بعدمِ ذكرِ الفاعلِ وهو الله سبحانه، ممَّا يزيدُ الموقفَ رهبةً وحضورًا في نفس السَّامعِ، ويجعلُ الوعيدَ حيًّا مُتجدِّدًا لا مؤجَّلاً، أمَّا التَّوكيدُ بالنَّونِ الثَّقِيلَةِ فمُبالغةٌ في إلزامِ المُخاطَبينَ بهذا المَصيرِ، وتغليظٌ في التَّهديدِ؛ لأنَّها من أقوى أدواتِ التَّوكيدِ في العربيَّةِ.

وفي الجمعِ بين اللَّامِ للقسَمِ والنَّونِ الثَّقِيلَةِ تحقيقٌ لأقصى درجاتِ التَّوكيدِ، ممَّا يبرزُ شدَّةَ الوعيدِ الإلهيِّ، ويُشعرُ بعظَمَةِ السُّؤالِ ووجوبِ الاستعدادِ له.

فائدةُ القيدِ بـ **﴿يَوْمَئِذٍ﴾**:

الجملةُ المضافُ إليها (إِذٌ) من قولهِ: **﴿يَوْمَئِذٍ﴾** مَحذوفةٌ دلَّ عليها قولُهُ: **﴿لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ﴾**، أي: (يومَ إِذْ تَرَوُنَّ الْجَحِيمَ) أيُّها الكافرونَ فَيُعْلَظُ عليكم العذابُ)⁽¹⁾، وهذا إيجازٌ بليغٌ مع وضوحِ المعنى، وهو أيضًا يزيدُ من رهبةِ الموقفِ وشدَّةِ الوعيدِ، لأنَّ اقترانَ السُّؤالِ عن النِّعمِ بيومِ رؤيةِ الجحيمِ يُضاعفُ الإحساسَ بالعقابِ ويُعْلَظُهُ،

اقتِرَانُ السُّؤالِ
عن النِّعمِ بيومِ
رؤيةِ الجحيمِ

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 524 / 30.

فِيُصَوِّرُ الْمَوْقِفَ وَكَأَنَّهُمْ يُسْأَلُونَ عَنْ نَعِيمِ الدُّنْيَا وَهُمْ يُشَاهِدُونَ فِي تِلْكَ اللَّحْظَةِ أَهْوَالَ النَّارِ، وَإِذَا شَمَلَ الْخَطَابُ الْمُؤْمِنِينَ فَيُفِيدُ الْقَيْدَ تَذْكِيرُهُمْ بِنِعَمِ اللَّهِ عَلَيْهِمْ وَفَضْلِهِ فِي نَجَاتِهِمْ وَتَشْرِيفِهِمْ بِذَلِكَ.

معنى ﴿عَنِ﴾:

دلَّ حرفُ الجرِّ ﴿عَنِ﴾ في قوله تعالى: ﴿لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾ على المُجَاوِزَةِ المَجَازِيَّةِ، أي: يُسْأَلُونَ عَنْ نَعِيمِ الدُّنْيَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَوْمَ يَرَوْنَ الْجَحِيمَ بَعْدَ أَنْ تَرَكَوهُ وَتَجَاوَزُوهُ إِلَى مَوْقِفِ الْحِسَابِ وَالْمُسَاءَلَةِ.

دلالة تعريف ﴿النَّعِيمِ﴾:

النَّعِيمُ: اسْمٌ لِمَا يَلْذُّ لِلْإِنْسَانِ مِمَّا لَيْسَ مُلَازِمًا لَهُ، وَتَعْرِيفُهُ بِ(ال) فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾ لِلْعَهْدِ الذَّهْنِيِّ مِمَّا تَفَضَّلَ اللَّهُ بِهِ عَلَى الْإِنْسَانِ مِنْ نَعِيمِ الدُّنْيَا، وَهَذَا السُّؤَالُ عَنْ النَّعِيمِ فِي الْآيَةِ إِمَّا مَوْجَّهٌ إِلَى الْمُشْرِكِينَ عَلَى نَسْقِ الْخِطَابَاتِ السَّابِقَةِ فِي الْآيَاتِ، أَوِ السُّؤَالُ مَوْجَّهٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَالْكَافِرِينَ، وَهُوَ السُّؤَالُ الَّذِي يُسْأَلُهُ كُلُّ مَنْعَمٍ عَلَيْهِ فِيمَا صَرَفَ فِيهِ النِّعْمَةَ، وَالَّذِي مِنْهُ مَا وَرَدَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ ⁽¹⁾: «خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ، فَإِذَا هُوَ بِأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرُ؛ فَقَامَا مَعَهُ فَأَتَى رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ فَإِذَا هُوَ لَيْسَ فِي بَيْتِهِ؛ إِذْ جَاءَ الْأَنْصَارِيُّ فَنَظَرَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَصَاحِبَيْهِ ثُمَّ قَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ مَا أَحَدٌ الْيَوْمَ أَكْرَمَ أَضْيَافًا مِنِّي؛ فَاَنْطَلَقَ فَجَاءَهُمْ بِعِدْقٍ فِيهِ بُسْرٌ وَتَمَرٌ وَرُطْبٌ، وَأَخَذَ الْمُدِيَّةَ فَذَبَحَ لَهُمْ، فَأَكَلُوا مِنَ الشَّاةِ وَمِنْ ذَلِكَ الْعِدْقِ وَشَرِبُوا، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَسُئِلْتُ عَنْ نَعِيمِ هَذَا الْيَوْمِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» ⁽²⁾. وَغَايَتُهُ فِي الْآيَةِ: تَوْبِيخٌ وَتَهْدِيدٌ وَتَخْوِيفٌ الْكَافِرِينَ مِنْ مُؤَاخَذَتِهِمْ

سؤال النعيم
بين المحاسبة
والاستهزاء
بالكافرين،
والتشريف
والتذكير
للمؤمنين

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 30 / 524 - 525.

(2) صحيح مسلم، كتاب: الأشربة، باب: جواز استنباعه غَيْرُهُ إِلَى دَارٍ مَنْ يَثِقُ بِرِضَاهُ بِذَلِكَ، رقم: 2038.

على ما في التكاثر من نعيم تمتعوا به في الدنيا، ولم يشكروا الله عليه، وتشريف المؤمنين الطائعين⁽¹⁾.

وهناك من يرى أن النعيم المراد في الآية هو نعيم الجنة، وأن السؤال هو سؤال سُخرية وتبكيّة وتأنيب وتهكّم بالكافرين، وليس سؤال مُحاسبة، فقد حوسبوا ووُزِنَتْ أعمالهم، وحُكِمَ عليهم بدُخول النار، وكأنَّ السؤال للمُقابلة بين حالتين: حالة النعيم للمؤمنين، وحالة العذاب للكافرين، وكأنَّه يقول لهم: أيُّهما أفضل؟ العذاب الذي تذوقونه الآن في الجحيم، أم النعيم الذي فاتكم بسبب كُفركم في الدنيا، ويتمتع به المؤمنون في الجنة؟⁽²⁾.

بلاغة مناسبة آخر السورة لأولها:

تهديد الغافلين
بسؤال النعيم
الذي ألهاهم
عن الشكر

ختم البيان القرآني السورة - التي اشتملت على التوبيخ على لهوهم بالتكاثر عن النظر في دعوة الإسلام في كل آية من آياتها من حيث إنَّ التكاثر صدَّهم عن قبول ما يُنجيهم - بتهديد وتخويف من مؤاخذتهم على ما في التكاثر من نعيم تمتعوا به في الدنيا، ولم يشكروا الله عليه؛ وذلك بقوله: ﴿ثُمَّ لَنَسْأَلَنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾، أي عن النعيم الذي خولتموه في الدنيا فلم تشكروا الله عليه وكان به بطركم⁽³⁾.

(1) البقاعي، نظم الدرر: 232 / 22.

(2) الخالدي، لطائف بلاغية: 189 - 190.

(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 524 / 30.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثامن والستون،
من سورة القَدْرِ إلى سورة النَّاس
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة

*

التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447 هـ - 2026 م
© حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026 م

*

الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366

م. ق. ت

التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الثامن والستون، من سورة القَدْرِ إلى سورة النَّاس
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي أحمد صافي المستغامي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2026.
مج. 68 ، 828 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 8-42-9948-978-655
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 68 : المجلد الثامن والستون، من سورة القَدْرِ إلى سورة النَّاس.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 8-42-9948-978-655

*

إذن طباعة رقم: MC-03-01-7916426 بتاريخ 2026/01/07م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة

*

الفئة العمرية : E

"تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام"

*

الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي "النجار"